

القول المبين

في حكم دعاء ونداء الموتى والانبياء الصالحين

تأليف

محمد محمد مخيمر

من علماء الأزهر

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(هذا بلاغٌ للناس وليُذروا به وليعلموا أنما هو إلهٌ واحدٌ
وليذكر أولوا الألباب) (هذا بيان للناس وهدى وموعظةٌ
للمتقين) (هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون)
(قل إني أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ وَأُمِرْتُ لِأَنْ
أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ) (قل إني أخاف إن عصيت ربي عذابَ
يومٍ عظيمٍ) (قل الله أعبد مخلصاً له ديني فاعبدوا ما شئتم من
دونه قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة
ألا ذلك هو الخسران المبين ، لهم من فوقهم ظلال من النار ومن
تحتهم ظلال ذلك يخوفُ اللهُ به عباده يا عبادي فاتقون) (والذين
اجتنبوا الطاغوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فبشر
عبادي الذين يستمعون القولَ فيتبعون أحسنه أولئك الذين
هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب) (وهذا صراطُ ربك
مستقيماً قد فصلنا الآياتَ لقومٍ يذكرون) وروى الشيخان
وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال

(افترق اليهود والنصارى على ثنتين وسبعين فرقة وستفترق أمتي
على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار إلا واحدة قالوا فمن هي
يا رسول الله قال التي تكون على مثل ما أنا عليه وأصحابي) بعد
تلك الآيات المحكمات فهذه رسالتى إلى أهل الاسلام ووصيتى
وعهدى بين الله وبين الناس أنى بلغت ما بلغه رسول الله صلى الله
عليه وسلم لهذه الأمة من الحق فيما اختلفوا فيه كما أنى مطالب بين
ييدي الله كل من أطلع عليها ثم لم يعمل بما فيها فأنها مشتملة على
ما كان عليه هو وأصحابه فى المسائل التى وضعت من أجلها ولعلمها
تكون معذرة لى عند الله حينما يسأل سبحانه وتعالى العلماء عن
إهمالهم تبليغ دعوة رسوله صلى الله عليه وسلم على الوجه الصحيح
وحجة لى عنده كما أنها حجة لله على من خالف ما فيها (وعلى الله
قصد السبيل ومنها جائز ولو شاء لهداكم أجمعين) (وأن هذا
صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله
ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الذي أنزل على عبده ورسوله محمد عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه ومن تبعهم بخير وإحسان قوله عز وجل (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) أما بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسوله وصحبه وآله فهذه رسالة تشتمل على ما يلزم المسلم معرفته من عقائد دينه سميتها «بالقول المبين في حكم دعاء ونداء الموتي من الانبياء والصالحين» ورتبتها على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة وأودعتها من الابحاث العلمية على صفرها مالا يتيسر الحصول عليه من كبار الكتّاب والله أسأل أن يجعلها خالصة لوجهه وأن ينفع بها كل من قرأها وسمعها وأن يتفضل بالمعونة والتوفيق والهداية إلى الصراط المستقيم إنه ذو السميع البصير البر الرحيم

مقدمة

إعلم أنه قد كثر اختلاف الناس قديماً وحديثاً في حكم من دعا صاحب قبر أو توسل بمخلوق من المخلوفين إلى الله عز وجل

يعد انتقاله إلى الدار الآخرة ممن عرفوا بالتقوى والاستقامة على الطريق الحق . ونحن نبين حكم هذه المسائل على الوجه الذي بينه الكتاب والسنة واتفقت عليه كلمة المهتدين من هذه الأمة فنقول وبالله التوفيق .

لا بد قبل الكلام على هذه المسألة من معرفة أمور الأول الوقوف على مشركي العرب وفرقهم وبيان هذا الأصل ينفع في معرفة الحق في هذه المسائل ويرد قول من قال إن آيات القرآن قد نزلت في عباد الاصنام فقط فلا يصح تنزيلها على غيرهم ممن آمن وصلى وصام فإن هذا القول قد اغتر به كثير من علماء المسلمين وبيان فساد من وجهين - الأول أن أئمة المسلمين متفقون على أصل مشهور وهو أن العبرة في التشريع بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فإذا كانت الآيات التي ذمت من كانوا يدعون الاصنام نزلت بسببهم فإنها بالقاعدة المتقدمة تعم كل من عمل عملهم - والوجه الثاني - الذي يبطل حمل الآيات على أهل الاصنام وحدهم أن المشركين كانوا أربع فرق . الفرقة الأولى تنادي الأصنام والفرقة الثانية تنادي الجن والثالثة تنادي الملائكة والرابعة تنادي الأنبياء

والصالحين من المواتى وكل فرقة تستغيث وتنادى من تدعوه ومن هذه الفرق من كان يعترف بالبعث ومنهم من كان ينكره لكن الفرقة التي كانت تعترف بالبعث تعترف به على وجه غير صحيح إذ كانت تزعم أنها مهملت من الذنوب فإن مآلها إلى الجنة معتمدة على أن من تستغيث بهم وتدعوه من دون الله يخلصونها بما لهم من المنزلة والجاه عند الله تعالى وهذا البيان الذى ذكرناه من افتراق المشرّكين إلى هذه الفرق قد بينه القرآن وتكلم مع كل فرقة بحسب ما تعتقد واليك الآيات التى تدل على ذلك وهى قاطمة فيما قلنا .

الفرقة التى كانت تدعو الجن (ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهولاء إياكم كانوا يعبدون قلوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون فالיום لا يملكُ بعضُكم لبعضاً ولا ضراً) «سورة سبأ» وقال تعالى فى شأن هذه الفرقة (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا^(١) له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون) «سورة الانعام» وقال تعالى فى شأن الفرقة التى كانت تدعو الانبياء والصالحين

وتناديهم وتستغيث بهم (إن الذين تدعون من دون الله عباد
أمثالكم فادعوهم فلأيستجيبوا لكم إن كنتم صادقين إلى قوله قل
إدعو شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون إن ولي الله الذي نزل
الكتاب وهو يتولي الصالحين والذين تدعون من دونه لا يستطيعون
نصركم ولا أنفسهم ينصرون) سورة الاعراف وقال تعالى في شأن
هؤلاء أيضاً (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف
الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم
الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه) سورة الاسراء
ولا يمكن لعاقل أن يزعم أن الأصنام ترجو رحمة أو تخاف عذابا
وإما ذلك يكون للذين يعبدون الله حق العباداة والآية تشمل
بعمومها من كانوا يدعون الملائكة وسياق الكلام على هذه الآية
مفصلا في محله . وأما الذين كانوا يدعون الأصنام فهم أحط الفرق
من المشركين إلا أن كل هذه الفرق كانوا يعتقدون أن الخالق لكل
شيء هو الله تعالى وأن دعاءهم لمن يدعون ليقرّبهم إلى الله زلفى
كما حكى الله تعالى ذلك عنهم جميعاً بقوله (والذين اتخذوا من
دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) سورة الزمر

وسأني مزيد لهذا البحث في الكلام على بيان عقيدة المشركين كما بينها القرآن . ومن هذابتين أن قول بعض الناس ان الآيات نزلت فيمن كانوا يعبدون الأصنام وحدهم قول باطل فان القرآن تكلم مع كل النرق كما بينا فاحفظ هذا الأصل فانه ينفعك في كثير من هذه المسائل التي اختلفوا فيها والى هنا نشرع في المقصود من وضع هذا الكتاب وبالله التوفيق .

الباب الاول في أمور عامة تلابد من معرفتها

السؤال الاول : ما حكم الذهاب الى القبور لسؤال أصحابها ودعائهم وندائهم وسؤال الله تعالى بهم والاستغاثة بهم في جلب نفع ودفع الضر للمستغيث والسائل .

السؤال الثاني : هل يوجد في كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم أو عمل أصحابه أو الذين اتبعوهم باحسان أو عمل أو قول الأئمة المجتهدين أن الامور المذكورة في السؤال الاول يجوز فعلها لاحد من الناس .

الجواب

لا بد لمن يريد أن يعرف جواب هذين السؤالين أن يعلم أولاً أن

هذه الامور المسؤول عنها الادخل للعقل ولا للقياس فيها لانها امور منها ما يتعلق بالعقائد ومنها ما يتعلق بالعبادات ولا سبيل إلى معرفة الامرين إلا من الشرع . وحيث اختلف الناس في هذه المسائل وجب ردها إلى قوله تعالى (فان تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً) فقوله تعالى ذلك خير أي الرد إلى الله وإلى الرسول فيما اختلفتم فيه خير لكم في دار الدنيا لأنه يبعدكم عن التفرق في الدين الذي هو طريق المشرّكين وأحسن تأويلاً أي أحسن عاقبة يوم القيامة لأنه لانجاة إلا بذلك وما دام هذا هو الميزان الذي أرشدنا الله إلى اتباعه ووزن ما يختلف فيه من الاحكام به فلنجر عليه في جواب هذين السؤالين فنقول وبالله التوفيق .

إن الله عز وجل قد قال في سورة الاسراء توبيخاً لمن سأله بالانبياء والاولياء والصالحين والملائكة (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً) أي قل أيها الرسول للذين يسألونني بعبادى من الانبياء والاولياء والصالحين والملائكة أو يسألونهم دوني نادوا الذين ظنتم من عبادى أنهم يستطيعون أن

يجلبوا إليكم نفعاً أو يدفعوا عنكم ضرراً قبل أن ينزل إليكم فيحولوه
عنكم أو يكشفوه إذا نزل إليكم واطلبوا منهم ما شئتم فأنتم
لا تعلمون كشف الضر عنكم إذا نزل إليكم ولا تحويله عنكم
إلى غيركم إذا أردت أن أنزله إليكم ولا يد من حمل الآية على ما
قلناه وإخراج غير العقلاء من الأصنام وغيرها من هذه الآية
وتخصيصها بالمقرئين من عباد الله لقوله بعدها « أولئك الذين
يدعون يستغنون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته
ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محظوراً » أي أولئك المقربون
الذين يدعوه ويناديهم غير المقرئين هؤلاء المقربون يطلبون القربة
إلى الله تعالى أي التقرب بما شرعه لهم ويرجون رحمته ويخافون
عذابه والأصنام وغيرها مما عبد من دون الله تعالى لا شأن لها
بعلم الدين ولا بالعمل به لطلب التقرب ولا هي ترجو رحمة ولا
تخاف عذاباً فتعين كما قلت حمل الآية على المقرئين من عباد الله
وقد بين الله أن المقرئين لا يملكون لمن سألهم كشف الضر عنه
بعد نزوله ولا تحويله عنه قبل نزوله وكما بين الله هنا بينه في
سورة الجن بقوله يخاطب رسوله « قل أنى لأملك أنكم ضرراً

ولارشدا» والمفسرون متفقون على أن في هذه الآية محذوفين وتقديرهما قل انى لأملك لكم ضرّاً ولا تفعاقل أو كثرو لارشداً ولا غياً أى ولا هدى ولا ضلالاً قل أو أكثر كما هو شأن وقوع النكره فى سياق النفي فانها تعم القليل والكثير وقال تعالى فى سورة الفتح « قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضرّاً أو أراد بكم نفعاً » أى لأأحد من عباد الله يملك لكم شيئاً من النفع فيجلبه لكم أو من الضرر فيدفعه عنكم متى أراد الله خلافه فيبين أن كل شيء مما يرجوه المخلوق أو يخافه موكل بالى ارادة الله عز وجل لا إلى عباده .

إذا عرفت هذا فاعلم أن سؤال أى مخلوق من المخلوقين بعد انتقاله الى الدار الآخرة عدوان على ما أنزله الله وخروج عن آيات كتابه وخال عن الفائدة وضلال بحكم القرآن لان المسؤول من المخلوق بعد الموت لا يسمع سائله ولا يجيبه ويتبرأ منه يوم القيامة لانه إما جاد وإما عبد مشغول بما هو فيه من أمور الآخرة كما قل تعالى فى سورة الاحقاف « ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون . واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين » قل .

تليضاوي في تفسير الآية المذكورة لا أحد أضل من داع يدعو
غير الله مخلوقا لا يستجيب له ذلك المخلوق دعاءه إلى يوم القيامة
وهم أي المسؤولون عن دعاء السائلين غافلون لأنهم إما جمادات
وإما عباد مشغولون بما هم فيه من أحوال الآخرة . انتهى
فأنت ترى أن كلام المفسر صريح في حمل الآية على العقلاء
والاصنام وغيرها وإذا كان الله قد جمل من سأل الموتى وغيرهم
من الخلوفين من أضل الناس بسؤاله هذا فلا شك أن السؤال يكون
ضلالا وحراما ممن علم هذه الآية ثم سأل بعد ذلك وأما السنة
فمنها عند أصحاب السنن حديث ابن عباس في منع سؤال غير
الله تعالى وهو قوله صلى الله عليه وسلم « إذا سألت فاسأل الله وإذا
استعنت فاستعن بالله وأعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك
لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك
لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف »
صححه الترمذي وحسنه ومنها في الصحيحين أنه لما نزل عليه وأندر
عشيرتك الأقربين صعد الصفا ونادى بطون قريش فلما اجتمعوا ناداهم
بطنا بطنا فقال يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار فاني لا أغني

عنكم من الله شيئاً يا بني مرّة بن كعب إلى أن قال يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنقذي نفسك من النار فاني لا أغني عنك من الله شيئاً يا فاطمة بذت محمد سليمان من مالي ما شئت أنقذي نفسك من النار فاني لا أغني عنك من الله شيئاً . »

ولم يثبت عنه صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من أصحابه والذين اتبعوهم باحسان ولا عن أحد من الائمة المجتهدين الاربعة وغيرهم أنه ذهب الى قبر نبي أو ولى أو صالح فسأل الله به أو سأل حاجة . قال صاحب الكنز من مشاهير متون الحنفية في باب الحظر والإباحة — ما نصه (قال أبو حنيفة رحمه الله أكره أن يقول العيد أسألك بأبيائك ورسلك وبمعاقد العز من عرشك وبالبيت الحرام وبالشعر الحرام) وقال مالك رحمه الله (ما رأينا أحداً من الامة يذهب الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله حاجة الا أن عبد الله بن عمر كان اذا قدم من سفر ذهب الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيسلم عليه وعلى أبي بكر وعمر ثم ينصرف) نقله القاضي اسماعيل في كتابه المبسوط عن مالك رحمه الله بالسند الصحيح اليه . وقال الشافعي رحمه الله (أدركنا أهل

بلدنا يهدمون القبور بمكة فلا أجزى رفع القبر عن الأرض ولا
 بحصيصه ولا البناء عليه) : حجتة في ذلك حديث مسلم عن علي أن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم بعثه لهدم القبور واثمائل فلما بعث عامله ليفعل ذلك
 قال له ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا تترك
 تمثالا الاطمسته ولا قبرا مشرفا الا سويته (مشرقا أمر تفعلا عن الأرض)
 اذا عرفت هذا فاعلم أن سؤال الله بخلقه أو سؤال خلقه حاجة
 من الحاجات حدث وبدعة من البدع التي لم تكن الا بعد انقراض
 القرون الثلاثة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم خير
 القرون كما في صحيح الترمذي عن عمر رضى الله عنه وكما في الصحيحين
 ونسوق لفظ الترمذي لاشتماله على زيادة ليست في الصحيحين
 (إن عمر رضى الله تعالى عنه خطب أصحابه بالجالية فقال :
 قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فقال أوصيكم بأصحابي
 ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم ينشوا الكذب حتى يحلف الرجل وهو
 لا يستحلف ويشهد الشاهد وهو لا يستشهد فعليك بالجماعة وإياكم
 والفرقة ألا لا يخلون رجل بامرأة الا كان ثالثهما الشيطان من أراد مجبوحة
 الجنة فليزِم الجماعة من سرته حسنته وأساءته سيئته فذلك المسلم)

وقد ثبت في الصحيحين أنه لا نجاة إلا للفرقة التي تكون على مثل ما كان عليه صلي الله عليه وسلم وأصحابه ولم يكن في عهدهم سؤال الله بالمخلوق ولا سؤال المخلوق للمخلوق قضاء حاجة فوق ما جرت عليه الاسباب والسنن الالهية بين الاحياء من سؤال بعضهم بعضا الدعاء وما في وسعهم أن يقضوه بعضهم لبعض من السعي في الخير ودفع الضرر وغير ذلك من شؤون الدنيا التي امرنا فيها بالسعي لانها من باب التعاون على البر والتقوى

والموتى لا شأن لهم بذلك وان كانوا احياء في قبورهم لانهم مشغولون بأحوال الآخرة بعيدون عن الدنيا وأهلها وشؤونهم كما قال عز وجل (والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون أموات غير أحياء وما يشعرون أيا ن يعثون) وهذا الوصف لا ينطبق إلا على المقتلاء من الاموات لا على الاصنام لانه لا يقال في جانبها بعث ولا علم به وقوله غير أحياء أى الحياة الدنيا المبنية على الهواء والاكل والشرب وارتباط الاسباب بمسبباتها فيها فلا يمشون بأرجلهم على أرضها ولا يرون بأعينهم ما يجري فيها ولا يسمعون بأذانهم ما يكون من كلام أهلها ولا يتناولون

بأيديهم ما يتناولوه أهل الدنيا من البطش والقوة كما قال تعالى
 (إن الذين تدعون من دون الله عباداً مثلكم فادعوهم فليستجيبوا
 لكم إن كنتم صادقين) ثم بين الله سبحانه وتعالى على وجه التبكيت
 أنهم أضعف منا بعد موتهم فقال (ألهم أرجئ يمشون بها أم لهم
 أيدي يطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون
 بها) ثم أمر رسوله أن يعجزهم بطلبهم من الموتى أن يكيدوا
 رسول الله إن كانت لهم أسرار وقدرة على كيده وهو يذم من
 سألهم فقال (قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون) أي فلا
 تمهلوني في الحاق الكيد بي ممن تدعونهم إن استطعتم (إن وليي
 الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين) ولا يخفي أن الآية
 حصرت الولاية بالنصر والمعونة في الله عز وجل في الدنيا والآخرة

بيان عقيدة المشركين كما بينها القرآن

لم يكن المشركون يعتقدون فيمن يدعونهم من دون أن
 أنهم يرزقونهم أو يملكون لهم شيئاً أو يحيون أو يميتون أو
 يدبرون أمراً من الأمور أو يملكون شيئاً من السموات والأرض

أَوْ يُجِيرُونَ مِنْ يَسْتَجِيرُ بِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ هَذِهِ الشُّؤُونُ بِيَدِ
 اللَّهِ وَحْدَهُ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ حَاكِيًا عَنْهُمْ عَقِيدَتَهُمْ (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ
 مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ
 مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ
 فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ
 فَأَنَّى تُصَرِّفُونَ) أَيْ إِذَا اعْتَرَفُوا لَكَ بِأَنَّ الْفَاعِلَ لِهَذَا كُلِّهِ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى
 فَقُلْ لَهُمْ أَلَا تَتَّقُونَ اللَّهُ فَلَا تَشْرَكُونَ مَعَهُ فِي الدِّعَاءِ غَيْرَهُ وَقَالَ تَعَالَى
 فِي بَيَانِ عَقِيدَتِهِمْ وَأَنَّهُمْ لَا يَنْسُبُونَ شَيْئًا مِنَ التَّصَرُّفَاتِ لغيرِ اللَّهِ
 تَعَالَى (قُلْ لِمَنْ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ
 أَفَلَا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ
 سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ قُلْ مَنْ يَبْدُوهُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ هُوَ يُجِيرُ وَلَا
 يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ بَلْ
 أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَأَنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ
 إِلَهٍ إِذَا لَذَبَّ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سَبْحَانَ اللَّهِ
 عَمَّا يُصِفُونَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)
 فَقَدْ ثَبَتَ مِنْ مَجْمُوعِ هَذِهِ الْآيَاتِ فِي السُّورَتَيْنِ يُونُسَ

والمؤمنون أن المشركين لم ينسبوا شيئاً من التصرفات في السموات والارض لغير الله تعالى ولكنهم اشركوا بتحكمهم على الله في تعيين من يدعوهم شفعاء مع أن الشفاعة موقوفة على مشيئة الله وإذنه لمن شاء من خلقه ولا يعلم لمن يعطى الاذن من خلقه بعد النبيين والدليل على أن الشرك جاءهم من تعيين من يدعوهم شفعاء قوله تعالى في سورة يونس (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) والدليل أيضاً على أنهم لم يكونوا يعبدونهم لغير الشفاعة والتقرب اليه تعالى بهم قوله تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) أى يقول المشركون إذا سئلوا عن دعائهم لغير الله وعبادتهم إياهم ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى أى ما نعبدهم طمعاً في رزق أو جلب نفع أو دفع ضرر فإن ذلك كله لله ولكن نعبدهم للتقرب والاستشفاع بهم عنده . وقد بين الله تعالى في سورة الرحمن أن جميع من في السموات والارض يسألونه ما يحتاجون اليه فلا معنى لسؤال غيره من خلقه لأنهم لا يملكون شيئاً من شؤون الكون فقال (يسأله من في السموات والارض كل يوم هو في شأن) أى إذا كانت الملائكة والانبياء

والاولياء والصالحون يخصصونه بالسؤال فلا معنى لسؤال غيره
من هذا كله يتبين أن سؤال غير الله من الملائكة والانبياء
والاولياء والصالحين خروج على القرآن والسنة وعمل المهتدين
من الأئمة وعبث لا فائدة منه للسائلين (وإذا سألك عبادى عنى
فأنى قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا
بى لعلهم يرشدون)

مبحث فى أمور ثلاثة لا بد من معرفتها

الاول : الدعاء المذكور فى القرآن فى جانب الله تعالى أو
غيره معناه الطلب بالنداء أو بالقلب أو بالعمل يدخل فيه العبادات
كلها قولية كانت أو فعلية أو قلبية وليس منه نداء أهل الدنيا
بعضهم لبعض فانه ليس على وجه التعظيم ولا على وجه الطلب فيما
وراء الاسباب التى رتب الله نظام السكون عليها ولهذا لو كلفت
أحدًا من أهل الدنيا بما ليس فى وسعه كنت مستهزئًا به كصعود
السما وحمل الجبال وشفاء المريض وإكثار الرزق وزيادة الاجل
وقضاء الحاجة مما لا يقدر عليه إلا الله تعالى ولا يفعل ذلك عاقل

لأنه عبث والذين يسألون الموتى يطلبون منهم هذه الامور ويقولون.
خاشعين أمام قبورهم أكثر من خشوعهم وقوفاً في الصلاة وما دام
الله ورسوله قد بينا أن أمور الآخرة من السعادة والشقاوة لا يعلمها
إلا الله تعالى فلا يصح لمخلوق أن يطلب من مخلوق شيئاً منها (قل
ما كنت بدعاً من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع
إلا ما يوحى إلي وما أنا إلا نذير مبين) فتقولهم إن النداء ليس
عبادة باطل بل هو من العبادات القولية التي بها يضع التوحيد
القولى فان المسلمين مجمعون على أن من قل يا الله فقد عبده بالذكر
فمثله نداء غيره على وجه التعظيم وفي صحيح الترمذى أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال (الدعاء مخ العبادة)

الثانى . إن التقرب إلى الله تعالى بغير ما شرعه مردود على فاعله لا
يريده من الله تعالى إلا بعداً وقد بين الله عز وجل أنه لا يقبل من
عبد تقرباً إلا بالايان والعمل الصالح فقال (وما أموالكم ولا
أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلنى إلا من آمن وعمل صالحاً فاولئك
لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى العرفات آمنون) وفي الحديث
القدسي (ما تقرب إلى عبدى بشيء أحب إلى مما افترضته عليه

ولا يزال يتقرب الى عبدى بالنوافل حتى أحبه (فالعمل الصالح هو الفرائض التي فرضها الله والنوافل التي شرعها كالصلاة والصوم والصدقة وإغاثة الملهوف والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاحسان إلى الفقراء وسنن الصلوات وغير ذلك وشرط كون العمل صالحاً مقبولاً عند الله أن يشتمل على ثلاثة أمور الأول أن يكون مأموراً به من الله ورسوله لقوله ﷺ (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ أي مردود على فاعله لا يقبله الله منه - رواه مسلم وأصحاب السنن عن عائشة . الثاني - أن يخلص العمل لله فلا يشرك معه غيره . الثالث أن يؤديه على الوجه الذي شرعه الله فهذه شروط ثلاثة لكون العمل صالحاً ومنه يعلم أنه من تقرب لله بشيء لم يشرعه معها أخلص فيه فهو مردود عليه . الثالث أنه صلى الله عليه وسلم لم يترك شيئاً يقربنا الى الله إلا بينه لنا فمن زاد في هذا الدين شيئاً على بيان الله ورسوله يزعم أنه بدعة حسنة فقد ضل ولذا قال مالك رضى الله عنه كما نقله عنه الشاطبي في الاعتصام (من زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم ترك شيئاً مما يقرب الى الله لم يبينه فقد أهمله بأنه خان الرسالة) . فالذي يريد

أَنْ يَنْجُوَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيُخْرِجَ بَدِينَهُ سَالِمًا عَلَى الْهُدَى
فَلْيَقِفْ عِنْدَ مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلْيَتَّبِعْ وَلَا
يَبْتَدِعْ (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)

❦ الباب الثاني ❦

فِي شَبْهِ قَدْ تَمَسَّكَ بِهَا طَائِفَةٌ مِنَ الْجَاهِلِينَ وَتَبِعَهُمْ فِيهَا
كَثِيرٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَزَعَمُوا أَنَّهَا تَجِيزُ مَا مَنَعَنَا فِي الْبَابِ الْأَوَّلِ
وَنَحْنُ نَبِينُهَا هُنَا وَنَرُدُّهَا بِمَا لَا يَدْفَعُ :

الشبهة الأولى

قَالُوا . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا
الْمُودَةَ فِي الْقَرْبَى) وَحَمَلُوا الْقَرْبَى عَلَى أَقْرَبِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَا سِيَّامَا
أَهْلَ بَيْتِهِ وَأَنْ مِنْ مَوَدَّتِهِمْ زِيَارَتُهُمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ وَالْإِسْتِشْفَاعَ بِهِمْ
وَفَعَلَ مَا يَفْعَلُونَهُ عِنْدَ قُبُورِهِمْ وَتَرْيِينِهَا وَكَسْوَتِهَا إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا
لَا تَمُّ الْمَوَدَّةَ إِلَّا بِهِ وَقَالُوا . إِذَا لَمْ يَتَوَسَّلْ بِهِؤَلَاءَ إِلَى اللَّهِ وَهُمْ أَطْهَرُ
النَّاسِ وَأَفْضَلُ الْأُمَّةِ نَظَرًا لِقُرَابَتِهِمْ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فبمن يكون التوسل . وزادوا أنهم لا يمكنهم التوسل الى الله تعالى
 الا بتوسيط هؤلاء بينه وبين المتوسلين لأن المتوسلين ملوثون
 بالذنوب والمعاصي فلا يمكنهم الطلب من الله بغير واسطة هذا
 محصل دعواهم ودليلهم ولا شك أن هذه الدغوي لا تتم لهم الا
 اذا كان الخطاب المذكور في الآية لعموم الامة وكان معنى الآية أنه
 صلى الله عليه وسلم أمر أن يبلغ الامة انه لا يسألها أجراً على تبليغ
 رسالته الا أن يودوا قرابته أحياء وأمواتاً : ونحن نقول ان في
 الآية أقوالاً أولها وهو أصحابها أن الخطاب لخصوص قريش والمكنا
 منهم على الاخص الذين كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم
 حتى حاصروه في شعب أبي طالب ثلاث سنين ومنعوا عنه
 وأصحابه الزاد والماء وكل مساعدة وأن المراد بالقرابي هي صلة
 القرابة التي بينه وبينهم وأن المعنى في الآية أن الله امره أن يبلغ
 كفار قومه أنه لا يسألهم على تبليغ الدين أجراً لكنه يسألهم ان
 يراعوا ما بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه من
 القرابة وأن يودوهم بدل أن يعادوهم ويؤذوهم وهذا القول هو الذي
 ارتضاه البخاري في صحيحه وساق حديث ابن عباس يفسر به

الآية علي ما قدمناه ويدل على هذا الذي بيناه أن أصحاب المشاهد التي يزورها الجاهلون اليوم لم يكونوا موجودين عند نزول الآية ولا بعدها بسنين وإنما ولد على بعد الهجرة أولاده وبناته ولا نزاع بين أهل الحديث والتفسير أن سورة الشورى نزلت في أوائل ما نزل من السور قبل الهجرة بزمن طويل وحمل القرابة على العموم يرده حديث ابن عباس المشار إليه فإنه حمل الخطاب على الأقربين من الكفار الذين كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ونقطه (عن ابن عباس رضى الله عنهما قال إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة فقال ألا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة)

القول الثاني : إن الخطاب لعموم الأمة وأن الآية تدل على أنه يجب علي كل إنسان أن يصل قرابته ورحمه . والمعنى لأأسألكم علي تبليغ الرسالة أجراً لكن أسألكم أن تصلوا أرحامكم وأن تودوا أقاربكم وهذا القول أقوى الأقوال في الآية لولا حديث ابن عباس ويؤيده قوله تعالى في الآية بعدها (ومن يقترب حسنة نرد له فيها حسناً إن الله غفور شكور) أى وأي نفس تقترب

حسنة يضاعف لها أجرها والاقتراف الكسب وهو يدل على

العموم لا علي خصوص قرابته صلى الله عليه وسلم

القول الثالث : إن هذه الآية كانت في أول الاسلام ثم

نسخت بقوله تعالى في سورة ص (قل ما أسألكم عليه من أجر

وما أنا من المتكلفين) أي لا أسألكم أجراً أبداً لامودة قرابتي

ولا غيرها واخطاب على هذا لعموم الامة أيضاً وهذا هو اللائق

بمقام المخلصين في الدعوة إلى الله فضلاً عن الرسل . فكيف وقد

حكي الله عن جميع رسله أنهم لا يسألون العباد على رسالة ربهم

أجراً وإنما يسألون الله تعالى كما حكي عن نوح (ويا قوم لا أسألكم

عليه ما لا إن أجرى إلا على الله) وعن هود (ويا قوم لا أسألكم

عليه أجراً إن أجرى إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون) وكما في

سورة يس (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قل يا قوم اتبعوا

المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون) وإذا كان هذا

ثابتاً فيمن دونه منزلة من ارسل فكيف يجوز لمسلم أن يزعم أنه صلى

الله عليه وسلم يطلب أجراً على تبليغ الرسالة . سبحانه هذا مهتان عظيم .

القول الرابع . ما سلكه كثير من أهل التفسير وهو أن المراد

به على وفاطمة وأولادهما وهذا القول مع مخالفته لنزول الآية وحديث ابن عباس في تفسيره لها لا يستند الى شيء صحيح من السنة هذا خلاصة ما ذكره الحافظ في الفتح في تفسير الآية المذكورة ومن هذا يتبين أنه لا متمسك في الآية لأحد من الجاهلين الذين يدعون أن قبور أهل البيت ممتازة على غيرها من القبور وسيأتي الكلام على أحكام القبور مفصلاً في الباب الثالث إن شاء الله تعالى.

﴿ الشبهة الثانية ﴾

ما أخرجه الحاكم وابن حبان وصاحب الدر المنثور في تفسير قوله تعالى (فقل لي آدم من ربه كلمات) الآية . عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قل (لما أذن آدم الذنب الذي أذنبه بالاكل من الشجرة نظر فرأى مكتوباً على باب الجنة لا إله إلا الله محمد رسول الله . فقال اللهم إني أتوسل اليك بمحمد وآل محمد إلا ما غفرت لي خطيئتي فقال الله عز وجل يا آدم من أين علمت بمحمد حتى تسألني به . فقال.

نظرت فرأيت مكتوباً على باب الجنة فعلمت أنك لم تقرن اسمك
إلا بأحب الاسماء إليك فقال قد غفرت لك (وهذا الحديث مع
خلو الكتب السبعة منه قد صححه الحاكم على عادته في عدم
المبالاة في تصحيح الموضوعات . قال الحافظ بن حجر في تهذيب
التهذيب في الكلام على عبد الرحمن بن زيد بن أسلم . سأل رجل
مالكاً بحضرة الشافعي عن عبد الرحمن بن زيد وهو مدار طريق
هذا الحديث يعني لم يرو من غير طريقه فقال مالك إذا أشكل
عليكم اسناد حديث فاثبتوا به عبد الرحمن بن زيد فإنه يحدتكم به
عن أبيه عن جده عن نوح عليه الصلاة والسلام وهذا أبلغ ما يقال
في تكذيب الانسان . وقال مالك رحمه الله أيضاً انه يروى
الاحاديث المناكير فقد روى أن سفينه نوح طافت بالبيت وصلت
ركعتين . وكما كذبه مالك بأبلغ تكذيب كذبه الشافعي وأحمد بن
حنبل وعامة أئمة الحديث حتي قال الحافظ عبد الحق في الكلام
على رواية الحديث لا نعرف أحداً من أهل العلم يحتاج بحديث
عبد الرحمن بن زيد بن أسلم . وقال الحافظ الذهبي في تعليقه على
الحاكم صحيفة ٦١٥ جزء ثانى سطر سبعة الي تسعة قوله صحيح

قلت به هو موضوع فيه عبد الرحمن بن زيد بن اسلم يرويه عن
مجهول وقد أطل الحافظ في تهذيب التهذيب في توهين عبد الرحمن
ابن زيد توهيناً شديداً بما نقله عن أئمة الحديث من الطعن عليه
وهذا أخف ما نقلناه عنه فمن أراد الزيادة فليراجعه . ولما صنف
الحافظ الذهبي أحد هيئة كبار العلماء الذي كتب في الوسيلة في
مجلة نور الإسلام اضطر أن يقول أن الحافظ الذهبي دسيسة على
الحاكم دسها الوهايون عليه . مع أن الحاكم مطبوع في الهند
لم يطبع سوى طبعتها .

الشبهة الثالثة

وهي أقوى الشبه ما أخرجه الترمذي عن عثمان بن حنيف رضي
الله عنه وحسنه أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد كف بصره
فقال له ﷺ إن شئت احتسبت عند الله وإن شئت دعوت لك فرد الله
بصره فقال عثمان رضي الله عنه أحب أن يرد علي بصري
يا رسول الله . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم (قم فتوضأ وصل
ركعتين ثم قل اللهم إني أتوسل إليك بنبيك نبي الرحمة أن ترد

على بصرى ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضأ وصلى.
 ركعتين ثم دعا له فرد الله عليه بصره) انتهى ما رواه الترمذى
 وأما الزيادة التى بعد ذلك المنسوبة إلى عثمان بن حنيف أنه علم
 رجلا آخر فى عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه فان عثمان رضى
 الله عنه كان لا يسمع له شكواه ولا يقضى له حاجته فمما فعل ما
 علمه عثمان بن حنيف قضى له عثمان بن عفان حاجته هذه الزيادة
 كلها مكذوبة يكذبها من أساسها أن عثمان بن عفان رضى الله
 عنه لو فعل ذلك مع أحد من الناس لكان ظلماً وقد خلت منها
 كتب السنة كلها . وأما الجواب عما رواه الترمذى فمن وحوه
الاول : أنه لا نزاع فى جواز التوسل به صلى الله عليه وسلم
 حال حياته فإنه كان يدعو لمن سأله كما أن هذا جائز بغيره من
 الاولياء والصالحين حال حياتهم باجماع المسلمين . بل سأل النبي
 صلى الله عليه وسلم عمر أن يدعو له وهو ذاهب ليعتمر فقال له
 (لا تنسنا يا أخي من دعائك) وقد أمرنا الله عز وجل أن ندعو
 للنبي صلى الله عليه وسلم فى صلواتنا وغيرها بقوله تعالى (يا أيها
 الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) كما أوصانا صلى الله عليه-

موسلم أن نكثر من الصلاة عليه وهو دعاء له بالرحمة والسلامة
فقول القائل اللهم صل على محمد معناه اللهم ارحمه وارفع درجاته
وسلمه .

الوجه الثاني : في الجواب على حديث الترمذى . إجماع أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم والذين اتبعوهم باحسان على ترك التوسل
به بعد انتقاله إلى الدار الآخرة إجماعاً عملياً قاطعاً فلم ينقل عن
أحد من أصحابه ولا من الذين اتبعوهم باحسان أنه توسل به
بعد موته أو ذهب إلى قبره لذلك بل الثابت كما في صحيح البخارى
خلافه وقد روى في الاستسقاء عن عمر رضى الله عنه أنه خرج
بالناس يستسقى حين حبس عنهم المطر فقال اللهم إنا كنا نتوسل
إليك بنبينا فتسقمينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقمنا أدع يا عباس
فدعنا فسقوا . فلو كان التوسل به أو بغيره بعد موته جائزاً ما تركه
عمر ولا أصحابه في أشد الاوقات إليه فتركهم التوسل به صلى الله
عليه وسلم وعدوهم إلى الأحياء . وهم أحرص الناس على الاقتداء
برسول الله صلى الله عليه وسلم . من أقطع الدلائل على عدم
الجواز بالتوسل بالموتى .

الوجه الثالث: ان الحديث المذكور لم يسلم من طعن الحفاظ عليه ولهذا قل كثير من شراح الكتاب كالعراقي ان الترمذي لا يعول على تصحيحه فضلاً عن تحسينه لانه صحح الضعيف جداً كحديث (مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم) وهذا عند أهل الحديث مسلم به وهو مع ذلك معارض بالاجماع الذي قدمناه وبحديث البخارى فى الاستسقاء . هذا فوق أن الترمذى لم يرتق فيه عن درجة الحسن على أنه فى غير محل النزاع فان النزاع انما هو فى الوسيلة بالموتى والحديث فى التوسل به صلى الله عليه وسلم فى حياته كما ساف وهذا يجمع عليه من الامة بل ويجمع على ان الوسيلة جائزة بغيره من الاحياء أهل التقوى .

﴿الشبهة الرابعة﴾

حديث الترمذى أيضاً عن ابن عباس عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنه ضرب خيمة على قبر فسمع رجلاً يقرأ فيه سورة الملك فلما أصبح حدث النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال هى المنجية هى المخاصة من عذاب الله . وايراد هذا

الحديث في الاستدلال على الوسيلة بالموتى ممن أوردوه ضرب من الخلط فان التوسل بالقرآن وغيره من صفات الله مجمع على جوازه كما سيأتى بيانه في آخر هذا الباب . ومع هذا فهذا الحديث مكذوب قال الترمذى بعد روايته غريب لا يعرفه إلا من هذا الوجه وأشار بهذا إلى ما طعن به عليه الحفاظ فان في طريقه يحيى بن عمرو بن مالك النكرى البصرى قال حماد بن زيد كذاب يحتلق الموضوعات وينسبها إلى الثقات ولولا هذا الرجل في إسناده الحديث لكان من أصح الاحاديث فان بقية رجال إسناده رجال الصحيح وكما كذبه حماد كذبه يحيى بن معين وأحمد بن حنبل وغيرهم قاله الحفاظ في تهذيب التهذيب في الكلام على يحيى بن عمرو المذكور .

الشبهة الخامسة

مارواه ابن ماجه . أنه صلى الله عليه وسلم قال (اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاى هذا) الحديث . وهذا الحديث مع كونه في غاية الضعف فإنه لو صح لم يفد المستدلين

على جواز التوسل بالموتى شيئاً فإن حق السائلين المذكور هو ما تفضل الله تعالى به على من دعاه بالاجابة لدعائه المشار اليه بقوله (وإذا سألك عبادى عنى فأنى قريبٌ أجيبُ دعوة الداعى إذ ادعانى) وقوله (ادعونى أستجب لكم) على أحد التفسيرين وهو تفسير الدعاء فى الآيه بالطلب من الله وهو توسل بفضل الله وهو صفة من صفاته ولا نزاع فيه فأين هذا من الوسيلة بالخلق والميت المتنازع فيه .

الشبهة السادسة

حديث (حياتى خير لكم وماتى خير لكم) يُحَدِّثُونَ وَيُحَدِّثُ لَكُمْ تُعَرِّضُ عَلَى أَعْمَالِكُمْ فَأَرَأَيْتَ مِنْ خَيْرٍ حَمَدْتُ اللَّهَ وَإِنْ يَكُ سِوَى ذَلِكَ اسْتَغْفَرْتُ لَكُمْ) وهذا الحديث وإن اشتهر على السنة كبار الناس وصفارهم فقد خلت منه جميع كتب السنة حتى الحاكم الذى يروى ما هب ودب . ومع هذا فالذى رواه وقفه على بكر بن عبد الله المزني وهو تابعى مشهور ومع ذلك لم يذكر فيه الصحابي أحد من رواة السنة لا فى صحيح الكتب ولا فى ضعيفها وهو منقطع لا يصلح للاحتجاج به وإنما يأخذه حضرات أهل الدين من دواوين الخطب ذلك مبلغهم من العلم . هذا مع أن البخارى ومسلم قد خرجا حديثاً يردده ويبين أنه صحيح لا يعلم عن أمته شيئاً بعد انتقاله الى الدار الآخرة

وقد أورده البخارى فى مواضع من صحيحة ووصلت طرفه عند أهل الحديث الى خمسة عشر صحابياً وهو حديث متواتر فى قوة القرآن ونفذه فى كتاب البخارى فى كتاب الرقاق (بينما أنا أسقى الناس على حوضى يؤتى بأناس من أمتى يريدون أن يشربوا فيحال بينى وبينهم ويؤخذ بهم الى جهة النار فأقول أصحابى أصحابى فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ارتدوا على أدبارهم بعد ما فارقتهم فأقول كما قال العبد الصالح - يعنى عيسى عليه الصلاة والسلام - وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم الى العزيز الحكيم) وفى بعض الالتفات تغير من الرواة وزيادة ونقص . قوله إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك يدل على أنه لا يدري عن أمته شيئاً بعد موته لانه إذا جهل حال أصحابه الذين عرفوه وعرفهم فغيرهم من باب أولى . أما بقية ما أورده من الآثار والمنامات وتمسكوا به فنحن فى غنى عن الرد عليه فان هذا لا يبنى عليه شرع مع أن أسانيدها كلها أوهى من بيت العنكبوت كما يعرف ذلك من له إلمام بأسانيد السنة

﴿ مبحث فى الوسيلة وبيان المراد منها فى القرآن والسنة ﴾

إعلم أن الوسيلة فى لغة العرب كل شيء وصلك الى المقصود سواء كان مما يتقرب به الى الله أم لا . فالسفينة مثلاً التى تعبر عليها

البحر من شاطئ إلى آخر وسيلة . والسلم الذي يوصلك إلى السطح
وسيلة كذلك . وهكذا توصل إلى كذا وتوصل إليه بكذا بمعنى واحد قال
البيد ألا كل ذي لب إلى الله واسل . أي واصل . وقبل أن نبين معناها
في الشرع نبين أن التوحيد نوعان لا يتم إيمان العبد إلا بهما
(توحيد الإلهية وتوحيد الربوبية وبيان معناهما)

أحدهما توحيد الإلهية : وهو حصر التعظيم بجميع أنواعه في ذات
الله تعالى يتحقق ذلك بصرف العبادات سواء كانت قولية أو عملية
أو قلبية إلى ذات الله تعالى وحده وينبني على هذا الأصل أن من
حلف بغيره تعالى مثلاً أو ذبح لغيره أو عظم بقلبه غير الله فقد ضيع
توحيد الإلهية لأنه صرف أنواعاً من العبادات الخاصة بالله تعالى
لغيره ومن ذلك نداء غير الله على جهة التعظيم والاستعانة والاستغاثة
أو طلب منفعة أو دفع ضرر فكل ذلك مخل بتوحيد الإلهية وإن
كان فاعل شيء من ذلك معتقداً أن الخالق لكل شيء هو الله فإن
ذلك الاعتقاد لا يفيد مادام يصرف شيئاً من العبادات لغير الله
تعاني ولا يخرج عن الشرك .

الثاني توحيد الربوبية . وهو حصر جميع الآثار والأفعال في ذات الله
تعالى وأنه هو صاحبها خالقاً وإيجاداً كالخلق والرزق والحياء والامانة

وشفاء المريض وتيسير الرزق أو إقتراره إلى غير ذلك من جميع شؤون الكون . وليعلم هنا أن العرب كان عندهم هذا النوع من التوحيد كما حكى الله تعالى عنهم أنه كانوا إذا سئلوا عن خالق السموات والارض أو عن الرازق أو المحيي أو المميت أجابوا بأن صاحب ذلك كله هو الله كما تقدم بيان ذلك مفصلاً في الباب الاول . ولكن الذى جعلهم مشركين هو فقدهم للنوع الاول من التوحيد لأنهم كانوا يذبحون لغير الله تعالى وينذرون لغيره تعالى ويلتمسون جلب النفع ودفع الضر من غيره تعالى وينادون ويستغيثون بغيره ويتمربون بما يستطيعون من الاموال وهذه الامور كلها عبادات مشروعة من خصائص الله تعالى وقد قال تعالى (إن الحكم إلا لله أمر أن لا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم) وقال يخاطب رسوله صلى الله عليه وسلم والمراد غيره (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم) سورة يونس . وهذا الاصل وهو معرفة النوعين من التوحيد ينفع المؤمن إذا تدبره ويتبين منه أن الايمان قد يوجد مع الشرك فقد يكون العبد معتقداً أنه لا خالق لكل شيء إلا الله

إلى فيكون من تلك الجهة مؤمناً إيماناً صحيحاً . ثم يتقرب إلى غيره بشيء من العبادات التي اختص بها تعالى كالدعاء والنذر والذبح والتماس النفع ودفع الضرر من ذلك الغير فيكون بهذا

مشرکاً من حيث لا يشعر . وقد كان هذا حال المشركين في عصر التنزيل فكانوا يؤمنون بالله تعالى مع الاشرار به كما قال (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) وقد روى النسائي عن حذيفة رضى الله عنه أنه رأى رجلاً يعلق على صدره شيئاً من خوص النخل فقال له ما حملك على هذا فقال أستشفى به فقطعه حذيفة ثم قال لا شفاك الله ثم تلا قوله تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) . وأخرج بن جرير وأصحاب السنن الأربعة أن رجلاً من اليهود جاء إلى أصحاب النبي ﷺ فقال إن مات قولونه حق لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد . فأُتِلَ الله تعالى (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) فقال رسول الله ﷺ (لا تقولوا شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد) . روى أصحاب السنن أن أصحاب النبي ﷺ مروا بشجرة قد علق بها المشركون شيئاً من الخرق والمسامير فقالوا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط أي اجعل لنا شجرة تتقرب بها إلى الله كالشركين -

والإنواط هي التعاليق - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أقولون.
كما قال قوم موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة).

فاذا تدبر المسلم هذا عرف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأصحابه كانوا يمتنعون عما يشم منه رائحة التقرب الى غير الله تعالى
ولو كان منسوباً الى النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث المشيئة السابق
بعد بيان هذا الاصل العظيم نقل هنا كلام المفسرين من السلف
عن لفظة الوسيلة فقد روى ابن جرير بخمسة أسانيد الى قتادة وأبي
وائل شقيق ابن سامة في تفسير سورة المائدة أن المراد بالوسيلة
في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة)
إنما هو الايمان والعمل الصالح وهو تفسير ابن عباس في هذه الآية
قال ابن جرير في تفسير الآية (يا أيها الذين آمنوا) صدقوا الله ورسوله
فما أمرهم به ونهاهم عنه وأخبرهم به من الوعد والوعيد (اتقوا الله)
أي اجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية بفعل الطاعات واجتناب المعاصي
(وابتغوا إليه الوسيلة) العبادة المشروعة سواء كانت واجبة أو مندوبة
فعملية كانت أو تركية كتفعل الواجبات والمندوبات وترك المكروهات
 والمحرمات. اهـ. ولا بد لتكميل هذا التفسير من بيان وهو أن
العمل لا يكون صالحاً حتى يستكمل ثلاثة شروط. الاول أن يكون.

مأموراً به من الله تعالى فلو عمل الانسان عملاً غير مأمور به وقصد
التقرب إلى الله تعالى فهو غير مقبول منه ودليل ذلك قوله صلى الله
عليه وسلم (مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ) وقد سبق
الإشارة إلى هذا الأصل وتقدم الكلام على أن العمل لا بد أن يكون
مأموراً به ومخصصاً فيه صاحبه مؤدياً له على الوجه المشروع. وهذا الأصل
يبين أن ما يعمل أكثر الناس من العبادات التي اختص الله تعالى بها
نفسه ولم يأذن أن تكون لغيره عمل غير مشروع وقد نهى الله
تعالى رسوله والمؤمنين أن ينادوا غيره في القرآن كقوله تعالى (فلا
تدعومع الله أحداً) (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك)
والدعاء يشمل العبادة بجميع أنواعها ومنها النداء على وجه الاستعانة
والاستغاثة بالنادي ومخالف لقوله تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين)
فإن هذا عهد قطعه العبد على نفسه ألا يعبد غير الله وألا يستعين إلا به فإذا
بادي غيره أو استعان بغيره فقد نقض العهد. وقل تعالى (وإذا مسكم الضر
في البحر ضل من تدعون إلا إياه فما ناجاكم إلى البر أعرضتم وكان الانسان
كفوراً) (وقل تعالى) (فادعوا لله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون):
(طائفة من توسل الانبياء عليهم الصلاة والسلام)

وهنا نبين طائفة من توسل الانبياء عليهم الصلاة والسلام: فنه

ما حكى الله تعالى عن يونس وهو في بطن الحوت فقال (وذا النون
 إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا
 أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) أى واذا ذكر صاحب الحوت
 إذ ذهب مغاضباً قومه لعدم إيمانهم به فظن أن لن نصيق عليه وركب
 سفينة فخرجت القرعة عليه ليذبحوه ويأكلوه فرمى بنفسه إلى البحر
 فالتقمه الحوت فلما أصابه هذا الكرب (نادى في الظلمات أن لا إله
 إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) فاستجيبنا له ونجينا ناه من النهم
 وكذلك ننجي المؤمنين) فتوسل بالتوحيد وقال حكاية عن آدم لما أكل
 من الشجرة هو وزوجه (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا
 لنكونن من الخاسرين) وهذه هي الكلمات المرادة من قوله (فتلقى آدم من
 ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم) فتوسل بالاقرار بالذنب
 وطلب المغفرة وقال حكاية عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين ترك
 زوجه وولده اسماعيل (ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع
 إلى قوله ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يسوم يقوم الحساب)
 توسل بالدعاء والإيمان والعمل الصالح

(التوسل من السنة)

وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم كان يتوسل فيقول (يا حي
 يا قيوم برحمتك أستغيث) وفي الحديث (دعاء أخى يونس ما دعى

به مكروب إلا فرج الله كربه) وقد تقدم وفي الحديث (اللهم إني
أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك
منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) وفي الحديث
(اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة
خيرا إلى وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا إلى وأسألك خشيتك في الغيب
والشهادة وكلمة الحق في الغضب والرضا والقصد في الفقر والغنى ولذة
النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك وأعوذ بك من ضراء مضرة
وفتنه مضلة اللهم زيننا برينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين) والكتاب والسنة
مملوءان بتوسل الأنبياء بالله تعالى وصفاته والإيمان والعمل الصالح لم
يتعدوا ذلك وقد قصه الله علينا لنقتدى بهم . ومن أتع الوسائل وأحب
الطاعة إلى الله صلاة النفل والصدقة والصوم والاكثار من الصلاة
والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم وقراءة القرآن والذكر والتسبيح
وغير ذلك من العبادات التي شرعها الله تعالى وما أحسن قول يعقوب
عليه الصلاة والسلام (إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا
تعلمون) وما دامت الوسيلة قد انحصرت في العبادة المشروعة فلا بد لمن
يجزئ التوسل بال مخلوق أن يأتي بدليل من الكتاب والسنة يدل على جوازه
لأن العبادات لا تشرع بالعقل والاستحسان وقد أنصف الأئوسى
في تفسيره سورة المائدة في الكلام على الوسيلة وحكي فيها الحق

وأنه لا يجوز التوسل بمخلوق من المخلوقين وصرح بأن حديث (توسلوا بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم) وحديث (إذا أعيتم الأمور فعليكم بأهل القبور) باطلان وهما كما قال فانهما من اختراع العامة ولهذا خلت منهما جميع كتب السنة . إلا أنه توقف في جواز الوسيلة به صلى الله عليه وسلم تابعا في ذلك للعز بن عبد السلام من أئمة الشافعية نظرا لحديث الترمذي عن عثمان بن حنيف وقد تقدم الكلام عليه مستوفيا فلا معنى لهذا التوقف ولا سيما بعد تصريح امامه أبي حنيفة رحمه الله بعدم جواز ذلك كما مر . وإلى هنا تنتقل من هذا الباب الى الباب الثالث في أحكام القبور .

الباب الثالث في أحكام القبور

والقبور هي الأرضة لا يختص ذلك بمؤمن ولا بكافر قلت

ام عبد الله بن عباس وهي رقصه

تمكلت نفسي وتمكلت بكرى * ان لم يند فها و غير فهر

بالحسب العد وبذل الوفر * حتى يوارى في ضريح القبر

والحسب ما يلحق الانسان من المدح بسبب عمله والعد الرفيع الذي

لا ينال الا بعد جهد والوفر المال الكثير ومن هذا يعلم أن الضريح لا يختص

بالمؤمن خلافا لما توهمه بعض الناس من اختصاص لفظ الضريح بالولي .

﴿عبادة القبور منشأ شرك العالم﴾

أخرج المفسرون وأهل الحديث عن عبد بن عباس رضى الله
 عنهما في تفسير قوله تعالى (وقالوا لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا وداً
 ولا سواعاً ولا يعقوث ويعوق ونسراً) قال رضى الله عنه كانوا خمسة
 رجال صالحين في قوم نوح فلما ماتوا صنعوا لهم تماثيل وصوروا فيها
 صورهم يتذكرون بها أعمالهم الصالحة فلما طال عليهم الامد عبدوهم
 من دون الله واتخذوهم وسائل اليه فكان هذا مبدأ شرك العالم وقال
 كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الهدى فلما كان قوم
 نوح اشتهر فيهم خمسة رجال صالحين وهم الذين ذكرهم الله بقوله
 (ولا تذرنا وداً ولا سواعاً الي نسراً) هذا وتنقسم أحكام القبور
 الى قسمين شرعية وبدعية فأما الاولى فهي ما شرعه الله وبينها
 رسوله وهى (١) النهى عن استقبال القبور بالصلاة والدعاء ولعن من
 فعل ذلك . أخرج الشيخان عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال فى مرضه الذى مات فيه (نعمة الله على اليهود
 والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) قالت عائشة رضى الله عنها
 يحذر ما فعلوا . أى يحذر أمته أن تفعل مثل فعلهم . وروى أصحاب
 السنن الأربعة عن ابى هريرة فوق الحديث المتقدم زيادة (وصالحهم

أولئك اذ كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً
 وصوروا فيه تلك الصورة - أي صورة الميت - أولئك شرار
 الخلق عند الله يوم القيامة) وهذا الحديث صريح في عدم جواز
 استقبال أي قبر مهما كان صاحبه بالصلاة والدعاء سواء دعا الله وحده
 أو صاحب القبر أو دعاها كما يدل على عدم جواز بناء المسجد على
 القبر وقد ورد هذا صريحاً في حديث أصحاب السنن أنه صلى الله
 عليه وسلم قال (لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد
 والموقدين عليها السراج) ويدل على لعن من فعل ذلك

من هذا يتبين أن المساجد التي أنشئت على القبور أو لأجلها
 لا تجوز الصلاة فيها لأنه منهي عنها والأصل في النهي التحريم وقد
 اتفقت الأمة على ذلك واختلفت في الصلاة على المقابر التي لا مساجد
 فيها فقليل بكراهة ذلك وقيل بحرمته . ويدل على عدم جواز اتخاذ
 المساجد على القبور مع هذه الأحاديث قوله تعالى (وأن المساجد
 لله فلا تدعو مع الله أحداً) . ولا تكون المساجد خالصة لله إلا إذا
 كانت لم تنشأ لأجل صاحب القبر ويفهم من الحديث أنه إذا أنشئ
 المسجد لله ثم دفن فيه ميت بعد ذلك لا يدخل في النهي لكن قال
 الحافظ بن حجر في شرح الفتح لحديث ذي الخليفة من صحيح

البخارى فى الكلام على الغزوات ما نصه « وفى الحديث التهى عن الصلاة فى المساجد التى فيها قبور يفتن الناس بها وأنه يجب إزالتها » انتهى وإذا لم يقدر الانسان على إزالة المنكرات التى تقع فى المساجد المشتملة على القبور التى يفتن الناس بها وجب عليه اجتناب الصلاة فيها ودخولها للامر باجتناب مواطن المعاصى والنهى عن دخولها كما فى حديث الصحيحين (أنه صلى الله عليه وسلم لما مرَّ بدار مُمود أسرع السير وستر وجهه وبكى وقال لأصحابه لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا وأنتم باكون أن يصيبكم ما أصابهم) قوله أن يصيبكم إلى آخره تقديره مخافة أن يصيبكم ما أصابهم وهو تعليل للنهى السابق . (٢) عدم جواز رفع القبور عن الارض وأنها تهدم ان فعل بها ذلك وتسوى بالارض . ودليل ذلك اتفاق الامة عليه وحديث مسلم عن على فى بعثه أبا الهيثاج الاسدى وقد تقدم فى الباب الاول وتقدم قول الشافعى أنهم كانوا يهدمون القبور بمكة وفى الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم منع أصحابه من زيارة القبور أولا قبل أن يرسخ التوحيد فى نفوسهم لأن الفتنة كانت بها شديدة فى أول الامر فلما رسخ التوحيد فى نفوس الناس قال صلى الله عليه وسلم لهم (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فانها تذكركم

الآخرة والموت) وتفصل الكلام في ذلك فنقول وبالله التوفيق
 — الكلام في زيارة القبور وبيان الجائز منها والممتنع —
 الزيارة نوعان . نوع أمر الشارع به وهو (١) أن يذهب الإنسان
 إلى المقابر فيتذكر الموت والآخرة ويدعو لأصحابها بالسلامة
 والعافية والمغفرة والرحمة وقد علم النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه
 كيفيتها بالقرل والعمل ففي الصحيحين وغيرهما أنه كان يزور
 القبور ويقول عندها (السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين
 والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم للاحقون نسأل الله لنا
 ولكم العافية اللهم اغفر لنا ولهم وارحمنا وارحمهم)
 وهذا كله إن كانت الزيارة لمقابر المؤمنين فإن كانت لمقابر غيرهم لم يحز
 للزائر أن يدعو بالاستغفار والرحمة لأصحابها كما ثبت في صحيح مسلم
 أنه صلى الله عليه وسلم ذهب إلى قبر أمه فبكى وأبكى من حوله ثم قال
 (استأذنت ربي أن أزور قبر أمي فأذن لي واستأذنته أن أستغفر لها فلم
 يأذن لي ثم تلا ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو
 كانوا أولى قربي الآية) وكما في صحيح البخاري أنه لما مات أبو طالب
 قال صلى الله عليه وسلم (لا تستغفرون لك مالم أُنْهَ عنه) فأُنْزِلَ الله الآية
 السابقة . وزيارة قبر أمه وإن كانت بعد الآية بسنين لكن لعله استأذن

خلنا منه أن الله تعالى يجيبه الى ذلك في أمه: قال النووي في شرح المذهب في كتاب الجنائز أن حديث مسلم في زیاره قبر أمه ثبت في نسخة الجلودي ولم يثبت في نسخة عبد الغافر الفارسی بنیه بذلك على أن خلو بعض النسخ منه لا یقدح في صحته (٢) ومن الاحكام المشروعة أنه لا يجوز للنساء أن یزرن القبور وقد أطلق القول بذلك كثير من العلماء والحق التفصيل. وهو أنه اذا كانت زیارتهم قليلة وخت من المنكرات جازت زیارة لهم والا حرمت لما أخرج الحاكم و صححه على شرط الشيخين وان لم یصب في ذلك التصحيح على الشرط المذكور أنه صلى الله عليه وسلم قال (لعن الله زوارات القبور) قوله زوارات يفهم منه أنه اذا قلت زیارة جازت (٣) النوع الثاني من زیارة زیارة المحرمة وهي التي تشمل على ما نهى الله عنه كالولوة والتسخط للقضاء والقدر والميت بلنقابر أو سؤال أصحابها أو الصلاة عندها أو استقبالها بالدعاء الى غير ذلك. فهذا النوع من زیارة محرم باتفاق جميع العلماء: (٤) عدم جواز وضع الانوار عليها وقد اتفق العلماء على تحريم وبطلان الاوقاف التي توقف عليه ودليل ذلك قوله في الحديث. والموقدين عليها السرج فان الله لا یلغن عباده على عمل یقربون به إلیه فلما ثبت في الحديث لعن من ینیر القبور دل على أنه عمل غیر مشروع وأنه منهي عنه وأن فاعله

ملعون ولم يفرق في الحديث بين قبر صالح وغيره ولا قبر نبي وغيره
ومن هذا الاصل العظيم يتبين أن ما عليه الناس اليوم في زيارة القبور
من وضع الأتوار عليها مخالف لشرع الله ودينه وإن تسابق إليه ائمة العلماء.
(الحكم الخامس) ما يفعل عند القبور من تعظيمها بالطواف والتمسح
والخشوع والزينة والنذر والذبح لها إلى غير ذلك مما يفعله الجهال يزعمون
أنهم يتقربون بفعل ذلك إلى الله تعالى. كل هذه الأمور منهي عنها
لأن الذبح والنذر والطواف والتمسح عبادات شرعها الله تعالى ليعبد
بها دون سواه ولعن من فعلها لغيره: وفي حديث الصحيحين عن علي
رضي الله عنه قال (ماترك لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً
اختصنا به من دون الناس) ثم أخرج صحيفة كتب فيها عن رسول
صلي الله عليه وسلم أحاديث فقرأ منها أنه صلى الله عليه وسلم قال (لعن
الله من لعن والديه ولعن الله من ذبح لغير الله ولعن الله من غير منار
الأرض - أي العلامات التي يهتدى بها الناس إلى السير في الطريق
ولعن الله من آوى محدثاً) أي مفسداً في الأرض: واتفق المسلمون
على أن الذبيحة لغير الله لا يجوز أكلها وكذا ما أهدى إلى قبر من
نقود أو خبز أو غيره لأن الله تعالى حكى أن المشركين كانوا يفعلون
ذلك في سورة الانعام فقال (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام

نصيبا - أي ولشركائهم نصيبا بدليل قوله بعد ذلك - فقالوا هذ الله
 بزعمهم وهذا الشركائنا (والخرف الزرع أي ان المشركين كانوا يحملون
 من زروعهم ومواسيهم جزء الله بالنذر وجزء لشركائهم به فتد الله
 عليهم بذلك وختم الآية بقوله (ساء ما يحكمون) واما تطواف فما
 شرعه الله الا بالبيت واما التمسح والتقبيل فشرعه مخصوص اركان
 الكعبة والحجر الاسود في صحيح البخاري عن عمر رضي الله عنه انه لما
 استلم الحجر الا - ودوهو يحج قبله وقال (أني اعلم انك حجر لا تنفع ولا
 تنفع ولولا اني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك) وصح عن عمر
 انه قطع الشجرة التي وقعت تحتها بيعة الرضوان التي ذكرها الله في سورة
 الفتح لما رأى الناس يذهبون اليها وأخفى موضعها وقال أرجوع الى
 الى الجاهلية الاولى. وبالجملة فلا يجوز فعل شيء عند القبور الا ما علمه
 النبي ﷺ لاصحابه من الدعاء وقد تقدم بيانه وأجمع المسلمون على انه
 لا يجوز النذر الا لله وحده وان من نذر لغيره يكون عاصيا بنذره قال
 شيخ الاسلام ذكر يافي شرح الروض من ذبح ولو الى ر - ول الله ﷺ
 فقد كفر لان الله تعالى يقول (وما أهل لغير الله به) أي وحرم عليكم
 ما ذبح لغير الله وسماء الله فسقا ونذكر بهذه المناسبة الكلام علي سماع

الموتى في قبورهم واحقاق الحق فيه

مبحث سماع الموتى واختلاف العلماء فيه

اختلف اصحاب رسول الله ﷺ ومن بعدهم الى اليوم في سماع الموتى فذهب الى المنع من الصحابة عائشة رضی الله عنها ومن التابعين قتادة بن دعامة واکثر التابعين ومن أتباع الاثمة الاربعة واکثر الخنافية والحنابلة كما حجاه الكمال بن الهمام عن اکثر الحنيفة فقال أنه مذهب أجلة علمائهم وكما حكاها القاضي الكبير في أكبر كتبه وقال هو اختيار اکثر اصحابنا أى الحنابلة واستدلوا على ذلك بقوله تعالى (انك لا تسمع الموتى) وبقوله (وما انت بمسمع من في القبور) وقالوا هذا قاطع متواتر ظاهر في المنع ظاهر في عدم سماع الموتى فلا يرد الا بقاطع مثله وذهب اکثر الشافعية والمالكية وبعض الحنابلة واکثر الصحابة والتابعين الى انهم يستمعون واستدلوا على ذلك بما فى الصحيحين أنه ﷺ كلم طائفة من قتلى بدر بعد القاءهم في بئر من آبارها منهم ابو جهل بن هشام وأمية بن خلف وعتبة بن ربيعة فقال عمر رضی الله عنه يا رسول الله انكلم اجساما لا ارواح فيها فقال رسول الله ﷺ

(ما أنتم بأسمع لما أقول منهم) وما أخرجه بن منده من مسند عبيد
 بن مرزوق مرسلًا أنه عليه السلام مر بقبر أم محجن وكانت تقيم مسجد النبي
عليه السلام فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم (أى العمل وجدت أفضل
 قالت قم المسجد أى تنظيفه) فقبل له عليه السلام أنكلم ميتا يا رسول الله
 فقال (والذي نفسى بيده ما أنتم بأسمع منها) وبما أخرجه الحاكم وصححه
 والبيهقي وغيرهم أنه صلى الله عليه وسلم مر بقبر فضلى على صاحبه ثم كلمه
 وسلم عليه فرد عليه ثم قال لأصحابه (ما من أحد عمر بقبر أخيه كان يعرفه
 فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه) وقالوا هذه الأحاديث
 تدل على أن الموتى يسمعون وأجابوا عن الآيات بأن المنقذ فيها سماع
 الاتقاع لا مطلق السماع جماين الأدلة هذام لخص وجيز لا اختلاف
 العلماء فى سماع الموتى . وقد أجاب المانعون عن هذه
 الأدلة بأن حديث الصحيحين قد انكرته عائشة رضى الله عنها وقالت ما
 قال النبي صلى الله عليه وسلم ما يقول بن عمر ولكنه قال (انهم الآن
 ليعلمون ان ما كنت أقول لهم حق) وأجابوا عن حديث بن منده
 أنه مرسل لا يصح الاحتجاج به وعن حديث الحاكم وغيره بأنه غير
 صحيح قال الحافظ بن رجب تصحيح الحاكم محكوم عليه عند أهل

الحديث بعدم الاعتبار وهو كما قال فقد صحح كثير من الأحاديث
الموضوعة كما تقدمت الإشارة إليه والحق أنهم لا يسمعون إلا السلام
عليهم كما ورد به النص وإن سماع قتلي بدر كان خصوصية له صلى الله
عليه وسلم إذا صح ما قاله بن عمر وقد روي البخاري بعد أن ساق الحديث
وساق إنكار عائشة على ابن عمر من روايته أنس عن أبي طلحة عن عمر
روى أن قتادة قال أحياهم الله لئيبه فجمعوا كلامه والحق أن هذه
الأحاديث كلها لا تغارض ظاهر القرآن وأنه يقدم على ما ورد
به النص ولا يعم في سماعهم

(خاتمة)

(في حياة أهل التبور وتحقيق الحق في حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
أعلم أن الله تعالى قد نص في الكتاب الكريم على حياة الشهداء
وأنهم عند ربهم يرزقون وإذا ثبت ذلك في الشهداء فلا ينبأ
عليهم الصلاة والسلام من باب أولى لأن الحياة بعض ما يصيب
المتقين من النعيم وهم أفضل المتقين وقد صنف الإمام البيهقي

كتبا ساء حياة الانبياء بعد انتقالهم الى الدار الآخرة . وقد
 اختلفت الامة في وجود الانبياء في قبورهم فآثر العلماء علي انهم
 موجودون في قبورهم وأحياء فيها وقد أورد البيهقي من السنة في
 الاستدلال علي حياتهم بأرواحهم وأجسادهم حديثين هما أصح ما
 ورد في حياة الانبياء . الحديث الاول حديث اصحاب السنن
 وأحمد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (ان الله حرم على الارض
 ان تأكل أجساد الانبياء) الحديث الثاني (ما من أحد يسلم
 علي الا رد الله علي روحه حتى أورد عليه) قال البيهقي وهذا
 أصح شيء في الباب فأما الحديث الاول فقد ضعف البخاري
 أسنده ولهذا لم يثبت في صحيحه وكذا مسلم وانك لا تخرج عن
 كونه حسنا صالحا للاستدلال به علي ان الارض لا تأكل أجسادهم واما
 الحديث الثاني فيدل علي ان الانبياء ليسوا أحياء في قبورهم لان
 رد الروح يقتضي عدم وجودها وقد أطل السيوطي كلاله في
 هذا الحديث وأجاب عنه بخمسة عشر جوابا اصحها ما ذكره وقد
 ارتضاه اليه في حياة الانبياء وهو ان قوله (الا رد الله علي
 روحه) جملة حالية علي تقدير قد والمعني ما من أحد يسلم علي

الا وقد رد الله على روحى الى آخره . لكنه لا يتم هذا الجواب
 لا بجمل هذا الحال لازمه للنبي صلى الله عليه وسلم ولا مانع من
 التزام ذلك والاستدلال عليه بحديث أصحاب السفن ان الله وكل
 به ملكين يبلغانه صلاة وسلام من يسلم عليه من أمته وأما غير
 الانبياء والشهداء فحياتهم طقيقة بمقدار ما يدركون العذاب أو
 النعيم . وأما برلاء أجسام غير الانبياء فيدل عليه حديث
 الصحيحين (كل بن آدم يبلى الا عجب الذنب) وقد اشتهر بين الناس
 ان الاولياء والعلماء والمؤذنين لا تبلى اجسامهم وليس لهذا
 مستند صحيح . والحياة الثانية للانبياء وغيرهم من أصحاب
 القبور لا يعلم حقيقتها الا الله تعالى وهي على كل حال
 مخالفة لحياة الدنيا مخالفة تامه اما الارواح بعد خروجها من الجسم فانها
 تذهب الى المكان الذي أعده الله تعالى لها من العذاب أو النعيم كما
 روى ذلك مالك في الموطأ عن النبي ﷺ قال قول بأن الارواح
 منطلقة تطوف حيث شاءت قول يخالف للسنة مخض الرأى وقوله
 تعالى (حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم
 ردوا الى الله مولاهم الحق) الآية وما تقدم في الكلام على سماع

الموتي وحياتهم في القبور نعلم أنهم لا يسمعون لمن يدعهم ولا يستجيبون إليه كما قال عز وجل في توبيخ من يسألونهم ويقصدونهم للحاجات (والذين يدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعون دعاكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) وقال (والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون اموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثون)

﴿ قراءة القرآن للموتي ﴾

ومما ينبغي علمه هنا أن قراءة القرآن لاتصل الميت ولا تنفعه لاجتماع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم على ترك ذلك ولأن الله ذكر في القرآن ان حكمة انزاله لإنذار وتبشير للاحياء كما قال تعالي (لينذر من كان حيا) بعد قوله (ان هو الا ذكر وقرآن مبين) وقوله (كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته) الآية وغير ذلك وجميع ما ورد من الاحاديث في قراءة القرآن على الموتي في سورة يس وسورة قل هو الله احد باطل فاجتنبه

وأتبع هذا الحق وتدبر قوله تعالى (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى
إلى إنما الحكم إله واحد) الآية. ولا تنس ما قدمناه لك من
الشروط في صلاح العمل والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع الحق إلى
يوم الدين

تمت هذه الرسالة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه في
اليوم الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ١٢٥١ هجرية
على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

جمع هذه الرسالة من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأقوال المهتدين من السلف رجاء أجر الله تعالى ورضوانه
وبذلا لانهجته وقيامه بالحجة الله على خلقه

محمد محمد مخيمر

من علماء الأزهر